



عناصر المادة

انتهاكات النظام الأمنية والعسكرية:

المقاومة الحرة:

الوضع الإنساني:

مواقف والتحركات الدولية:

آراء الصحف والمفكرين:

أسماء ضحايا العدوان الأسدية:

أُخفق اجتماع أمريكي روسي للتحضير لمؤتمر جنيف 2 حول سوريا في الاتفاق على المواعيد وقائمة المشاركين، والإبراهيمي يشكك في انعقاد المؤتمر على حينه، في ظل تصعيد عسكري وهجمات قوية من الثوار وقصف من النظام للمناطق السكنية في سوريا، الأمر الذي يجعل الطريق إلى جنيف 2 وعراً أكثر إضافة إلى عدم التوافق الدولي عليه.

انتهاكات النظام الأمنية والعسكرية:

قتل فيهم أطفال ونساء وعدد تحت التعذيب:

قتل نظام الأسد 86 شخصا في سوريا بينهم 7 نساء و12 طفلا و8 تحت التعذيب بينهم امرأة، و28 في دمشق وريفها و25 في حلب، و9 في دير الزور و7 في حماة و6 في حمص و4 في درعا و4 في إدلب و2 في القنيطرة و1 في الرقة. (1)

مائات من مناطق القصف:

قصفت قوات الأسد وميليشيات حزب الله 468 نقطة في مدن وبلدات سوريا، منها غارات جوية للطيران الحربي سجلت في

نقطة، وتم إلقاء البراميل المتفجرة على تل رفعت ومحيط مطار منغ العسكري وطريق الباب في حلب وقرى ريف حماة الشرقي، كما تم تسجيل استخدام القنابل الفراغية في حمورية في ريف دمشق والقنابل العنقودية في دير فول في حمص، وصواريخ أرض - أرض في زملكا في ريف دمشق وتل رفعت في حلب، فيما سجل القصف المدفعي في 166 نقطة، وتلاه القصف الصاروخي في 128 نقطة، والقصف بقذائف الهاون في 115 نقطة في سوريا. (1)

اقتحام بعد حصار مدة أسبوع:

أفاد ناشطون أن قوات النظام مدعة بالشبيحة وعناصر حزب الله اللبناني اقتحمت مدينة تلكلخ بريف حمص على الحدود مع لبنان. وقالت الهيئة العامة للثورة إن هذه القوات اقتحمت المدينة بعد حصار دام نحو أسبوع، وذلك تزامناً مع قصف بالمدافع وراجمات الصواريخ، وقطع للاتصالات والكهرباء والماء. (4)

نهب وحرق للممتلكات:

كما شنت قوات النظام حملة نهب وحرق للممتلكات، في حين يتغوف ناشطون من ارتکاب مجازر بحق من تبقى من الأهالي. كما ناشد السكان هيئة أركان الجيش الحر والائتلاف الوطني المعارض مساعدتهم. (4)

المقاومة الحرة:

اشتباكات واسعة، وانتصارات في العاصمة:

في 164 نقطة اشتباك بين الثوار والنظام الأسدية وأعوانه من حزب الله، تمكن المجاهدون من إحراز نتائج بطولية رائعة، حيث سيطروا في دمشق وريفها على حاجز طعمة على المتعلق الجنوبي، واستهدفوا الفوج 137 وقتلوا عدداً من عناصر النظام وأسرموا عدداً آخر، وتصدوا لمحاولة اقتحام في عين ترما وقتلوا 8 عناصر من قوات النظام، كما استهدفوا مقر البحث العلمية في بربة وحققوا إصابات مباشرة، واستهدفوا أيضاً معاقل حزب الله وشبيحة النظام على طريق مطار دمشق الدولي وحققوا إصابات مباشرة وتمكنوا من تحرير عدد من المباني في شبعا على طريق مطار دمشق الدولي. (1)

استهداف عدد من المقرات:

واستهدفوا في حلب مقر البحث العلمية وتمكنوا من إصابة المبني الرئيسي وقتل 25 عنصراً من قوات النظام، واستهدفوا أيضاً فرع المرور ومبني التأمينات الاجتماعية في باب جنين، كما استهدفوا معاقل قوات النظام في فرع المخابرات الجوية وهي الأشرفية وصلاح الدين. (1)

إسقاط طائرة حربية وقصف لواء 93:

وفي إدلب استهدف الثوار مقر قيادة الفرقة السابعة في معسکر الجازر وتمكنوا من تدمير عدد من الآليات وقتل عدد كبير من عناصر النظام كما تمكنوا من تدمير أحد المباني التي يتمركز بها قوات النظام في حاجز القياسات على طريق أريحا - اللاذقية.

وفي حمص تصدى المجاهدون لمحاولات من قوات النظام لاقتحام مدينة القرىتين كما تمكنوا من إسقاط طائرة حربية في القرىتين أيضاً، وفي الرقة استمر الثوار في محاصرتهم للواء 93 في ناحية عين عيسى واستهدفوه بصواريخ غراد، وفي دير الزور استهدفوا مطار دير الزور العسكري بعدة صواريخ وحققوا إصابات عديدة في صفوف النظام.

هذا وتمكن الثوار في درعاً من استهداف فرع الأمن العسكري في بلدة المسمية وتدمير أحد الأبنية التي يتمركز بها قوات حزب الله في بصرى الشام، وقاموا بتحرير حاجز خراب عسکر التابع للأمن العسكري في ريف القامشلي الجنوبي بالحسكة. (1)

معركة الفتح المبين:

وبث ناشطون في محافظة إدلب صوراً تُظهر استهداف الجيش الحر مباني يتخذها الشبيحة مقرات لهم، ومحطة سادكوب للغاز التي يتحصن فيها عدد كبير من قوات النظام وميليشيات الشبيحة. ويأتي ذلك ضمن معركة أسمها الجيش الحر باسم "الفتح المبين".(4)

الوضع الإنساني:

التسول يزداد في سوريا:

قال برنامج الغذاء العالمي: إن العائلات في سوريا تلجأ على نحو متزايد إلى تسول الطعام بسبب نقص كمياته وأسعاره المرتفعة التي فرضتها الحرب في بلادهم، وإنه سيزيد شحنات الأغذية لملايين المحتاجين هناك قبيل بدء شهر رمضان. وأعلن البرنامج التابع للأمم المتحدة أن مسحاً أجراه في أبريل/نيسان ومايو/أيار الماضيين - وشمل 105 عائلات في سبع محافظات من بينها محافظة حمص وحلب المشتغلتان - أفاد بأن كثيرين تحولوا إلى تناول أطعمة ذات نوعية أقل مما كانوا يتناولونه لتقليل الإنفاق على الطعام.

وقالت المتحدثة باسم البرنامج إليزابيث بيريز - للصحفيين في جنيف - إن "أولئك الذين ذكروا التسول كإستراتيجية للتكيف أشاروا إلى أنه أصبح الخيار الوحيد لديهم للتعامل مع التدهور في ظروف المعيشة". وأكدت أن البرنامج سيزيد شحنات الأغذية في سوريا قبيل بدء شهر رمضان في أوائل يوليو/تموز، مضيفة " علينا أن نتوقع أنه أثناء شهر رمضان فإن بعض أنشطة النقل ستصبح أبطأ أو قد تتوقف، ومن الملحوظ أن نضمن وصول الشحنات لضمان التوزيع العادي على العائلات".(4)

المواقف والتحركات الدولية:

شكوك حول انعقاد جنيف 2:

قال الأخضر الإبراهيمي المبعوث الخاص للأمم المتحدة والجامعة العربية إلى سوريا: إنه «يشك» في إمكانية عقد مؤتمر «جنيف 2» حول سوريا الشهر المقبل، مضيفا: «بصراحة، أشك في انعقاد هذا المؤتمر في يوليو (تموز)». وتجنب الإبراهيمي مناقشة نتائج الاجتماع المنعقد واكتفى بالقول: «أنا واثق أن مناقشاتنا ستكون بناءة، وواثق أيضا بإحراز تقدم». وهذا ثاني اجتماع لدبلوماسيين رفيعي المستوى هذا الشهر في مدينة جنيف السويسرية، سعيا لتنظيم المؤتمر الذي بُذلت مساعي أساساً لعقده في يونيتو (حزيران) ثم في يوليو.

مضيفا: «أعتقد أن ما يحصل في المنطقة خطير جداً، وأأمل بشدة في أن تتحرك الحكومات في المنطقة والدول الشريكية، خاصة الولايات المتحدة وروسيا (إنهاء) الوضع الذي يخرج عن السيطرة، ليس فقط في سوريا بل في المنطقة». (3)

محادثات دون اتفاق:

أُخْفِقَ اجْتِمَاعُ أمِيرِكِي روسي للتحضير لمؤتمِرِ جِنِيفِ 2 حول سوريا في الاتِّفاق على المواعِيدِ وقائمةِ المُشَارِكِين. (4) وقال جينادي جاتيلوف نائب وزير الخارجية الروسي إن محادثات أجربت برعاية الأمم المتحدة لتنظيم مؤتمر ينهي الحرب في سوريا انتهت دون اتفاق بين المسؤولين الأميركيين والروس على كثير من المسائل، ومن بينها المواعيد وقائمة المشاركين في المؤتمر. (3)

محادثات بناءة رغم الفشل:

ورغم فشل الاتِّفاق إلا أنَّ الأممِ المتَّحدة وصفتِ المُحَادَثَاتَ بينِ مسؤولِيْنِ كبارِ منِ أمِيرِكا وروسيَا بِجِنِيفِ بِشأنِ سوريا بأنَّها

كانت "بناءة"، وأكدت عقد لقاء جديد بين وزيري خارجية البلدين مطلع الشهر المقبل لبحث ترتيبات المؤتمر. وقالت الأمم المتحدة -في بيان صدر إثر محادثات في جنيف جمعت دبلوماسيين أميركيين وروسياً كباراً إضافة لموفد الأمم المتحدة والجامعة العربية إلى سوريا الأخضر الإبراهيمي تمهدًا لانعقاد مؤتمر دولي حول سوريا. إن المحادثات "كانت ببناءة وتركزت على سبل ضمان عقد مؤتمر جنيف 2 حول سوريا بأفضل فرص نجاح".(4)

السعودية: سوريا أرض محتلة، ولا يمكن السكوت عن تدخل إيران:

قال وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل: إن المملكة تعتبر أن تدخل إيران وجماعة حزب الله اللبناني في الصراع الدائر في سوريا خطير، مضيفاً "لا يمكن اعتبار سوريا الآن إلا أرضاً محتلة".

وأوضح الفيصل أن السعودية ترى أنه ينبغي تقديم مساعدات عسكرية لمقاتلي المعارضة للدفاع عن أنفسهم. وأضاف في مؤتمر صحافي مع وزير الخارجية الأمريكي جون كيري في جدة أن السعودية لا يمكنها السكوت عن التدخل الإيراني، ودعا إلى قرار يحظر تدفق الأسلحة للنظام السوري. وقال: "المملكة العربية السعودية تطالب بقرار دولي واضح يمنع تزويد النظام السوري بالسلاح".(2)

جنيف أفضل فرصة، والمسألة معقدة:

قال وزير الخارجية الأمريكي جون كيري: إن مؤتمر "جنيف 2" أفضل فرصة لحل أزمة سوريا، مؤكداً أن استمرار العنف غير مقبول.

واعتبر كيري أن الأوضاع في سوريا باتت أكثر تعقيداً بعدها دخلت إيران وحزب الله في المعارك بين الطرفين هناك. وقال إن أفضل الحلول هو الحل السياسي من خلال هذا المؤتمر الذي سيعمل على نقل السلطة وتشكيل حكومة انتقالية بكامل الصالحيات.(2)

استمرار التدهور بسبب المواجهة العسكرية:

قال أوسكار فرنانديز تارانكو، مساعد الأمين العام للشؤون السياسية، في جلسة عقدها مجلس الأمن الدولي حول الشرق الأوسط: "الوضع العام يستمر في التدهور بسبب مواصلة المواجهات العسكرية العنيفة".

وقال: "الانحراف المباشر لمقاتلي حزب الله داخل سوريا أعطى زخماً جديداً للنهج العسكري للحكومة السورية وساهم في التوتر الطائفي والسياسي في أنحاء المنطقة".

وحذر من دعم طرف النزاع عسكرياً قائلاً: "التصريحات بزيادة الدعم العسكري في الصراع لا تنذر إلا بمزيد من التصعيد"، على ما أورد الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة.(5)

عجز مجلس الأمن فضيحة:

ومن جهة أخرى، قالت السفيرة الأمريكية لدى الأمم المتحدة سوزان رايس: إن عجز مجلس الأمن الدولي عن التحرك بشكل موحد فيما يتعلق بسوريا "فضيحة من وجهة نظر أخلاقية وإستراتيجية ستؤثر على سمعته" وسيحكم التاريخ عليه "بقسوة" بحسبها، وحملت روسيا والصين مسؤولية هذا الفشل لأنهما استعملتا مرتين حق النقض "على قرارات معتدلة جداً" بخصوص أزمة سوريا.(4)

الأردن: ليس من مصلحة أحد تقسيم سوريا:

أكد العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني أن تقسيم سوريا ليس في مصلحة أحد، وأن المساس بوحدتها هو وصفة للخراب، معرباً عن خشيته من تحول الصراع إلى فتنة بين السنة والشيعة على مستوى المنطقة.

وتحث الملك عبد الله الثاني في الحوار الذي أجري في لندن، السياسيين وعلماء الدين على عدم التجييش وإثارة الفتنة واستغلال الدين في السياسة، محذراً من مساع للهروب من هذه الأزمة داخلياً إلى الأمام وتحويلها لأزمة إقليمية.

ودعا الحريري على مستقبل المنطقة واستقرارها إلى أن يضعوا حداً للتمدد الإقليمي للأزمة السورية.(2)

الحل لا يكون إغاثياً فحسب:

وتحدث الملك عبد الله الثاني عن مشكلة اللاجئين قائلاً "عندما علت بعض الأصوات داخلياً اعترضاً على تدفق اللاجئين من الأشقاء السوريين، كان الرد الإنساني: كيف يمكن لنا أن نغلق حدودنا في وجه امرأة تحمل رضيعها وتهرب تحت القصف؟.

وأوضح أن الجهد الإغاثي الدولي والعربي مقدر مرة أخرى، وقد أطلقت الأمم المتحدة أخيراً نداء استغاثة هو الأكبر في تاريخها، لكن الحل لا يكون بالعمل الإغاثي فقط، الحل يكون بالعمل السياسي المنتج الذي يقود إلى وقف العنف وعودة اللاجئين السوريين.(2)

وباب: التعامل مع أزمة اللاجئين السوريين في الأردن يتم على حساب القليل المتاح من مواردنا الذاتية، وهو وبالتالي تعامل غير مستدام، ولا يمكن الاستمرار به إلى الأبد. لا شك أن هناك تقديرًا عالميًا كبيرًا لما يقوم به الأردن، وهناك دعم دولي وعربي، وجهود إغاثية وأخرى خيرية، كلها مشكورة ومقدرة، ولكن حجمها ومستوى تدفقها لا يفي بالاحتياجات الحقيقية والمتسارعة للاجئين السوريين.(3)

موافقة روسيا على تشكيل حكومة انتقالية منجز كبير:

قالت روزماري ديفيس، الناطقة الرسمية باسم الحكومة البريطانية في الشرق الأوسط، إن قبول روسيا لفكرة تشكيل حكومة انتقالية كاملة الصلاحيات بسوريا، بما في ذلك الشق الأمني، هو أبرز منجزات قمة "الثماني الكبير"، وقالت إن دول "الربيع العربي" تواجه "تحديات جدية" لكن بإرادتها ستواصل تقديم الدعم لها.

وأضافت ديفيس: "توصلت قمة مجموعة الثماني الكبير إلى اتفاق على أن مؤتمر 'جنيف 2' يجب أن يتوصل إلى إنتاج هيئة حاكمة انتقالية كاملة الصلاحيات، بما في ذلك ما يتعلق بالجيش وأجهزة الأمن، وقد كانت روسيا بعيدة عن هذا الطرح الذي قدم للمرة الأولى بمؤتمر 'جنيف 1' ولكنها باتت تؤيده بالكامل الآن".(5)

العلماء: لا بد من إيقاف إبادة الشعب السوري:

اعتبرت هيئة كبار العلماء في السعودية، ما يتعرض له الشعب السوري على يد الجيش السوري وميليشيات حزب الله حرب إبادة لابد من السعي لإيقافها، وقالت في بيان رسمي أصدرتهاليوم حول ما يجب للصحابة وآل بيته عليه وسلم وأزواجه رضي الله عنهم، أن "الهيئة تؤكد على وجوب اتخاذ خطوات عملية ضد الحزب الطائفي المقيت المسمى بـحزب الله، ومن يقف وراءه أو يشاعره على إجرامه وتردعه من هذا العدوان، فهو حزب عميل لا يرقى به مثابة". ودعت الهيئة إيران وروسيا إلى مراجعة مواقفهما الداعمة للنظام الأثم في سوريا الذي أباد شعب سوريا وشرده، وطالبت هيئة كبار العلماء الأمة الإسلامية إلى بذل كل ما في استطاعتها لنصرة المضطهدين والمujahideen في سوريا. (2)

آراء الصحف والمفكرين:

كتب طارق الحميد:

نعم سوريا أرض محظلة:

سمى وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل الأشياء بأسمائها فيما يتعلق بالأزمة السورية، حيث اعتبر في المؤتمر الصحفي الذي عقد بجدة بحضور وزير الخارجية الأميركي جون كيري، أن سوريا تعتبراليوم أرضاً محظلة، وذلك بعد تدخل ميليشيات حزب الله هناك مدعومة من قبل الحرس الثوري الإيراني.

الأمير سعود يقول: «إن أخطر المستجدات على الساحة السورية هي مشاركة قوات أجنبية، ممثلة في ميليشيات حزب الله

وغيرها، مدعومة بقوات الحرس الثوري الإيراني، في قتل السوريين وبدعم غير محدود بالسلاح الروسي»، ومضيفاً أن «هذا الأمر خطير في الأزمة ولا يمكن السكوت أو التغاضي عنه بأي حال من الأحوال؛ كونه يضيف إلى حالة الإبادة الجماعية التي يمارسها النظام ضد شعبه معنى جديداً يتمثل في غزو أجنبى مناف لكل القوانين والأعراف والمبادئ الدولية، كما أنه يستتبع الأرض السورية و يجعلها ساحة للصراعات الدولية والإقليمية، وعرضة للنزاعات الطائفية والمنهبية، ولا يمكن اعتبار سوريا الآن إلا كونها أرضاً محظلة».

وبالطبع فسوريا محظلة، ومقسمة أيضاً، فما يحدث اليوم، وعلى يد الأسد، يدحض كل محاولات من يريدون الدفاع عن هذا النظام الإجرامي، أو تبرير جرائمه، سواء الروس، أو إيران، أو بعض الموالين للحلف الإيراني، ومن ضمنهم نوري المالكي في العراق.

الواقع اليوم بسوريا يقول إن المقاتلين الأجانب المحسوبين على إيران، سواء الحرس الثوري، وفيلق القدس، وكذلك مقاتلو حزب الله، والميليشيات الشيعية العراقية، وأخرون للأسف من شيعة المنطقة، كلهم يتذدقون لسوريا بدعوة من الأسد، ومن أجل محاولة دعم نظامه، فأمن دمشق بيد الإيرانيين، وتحديداً قاسم سليماني الذي قيل إنه لا يغيب عن العاصمة السورية. وهناك الحدود المتاخمة للبنان، حيث يرعاها حزب الله، ومثلها الحدود مع العراق التي تحرك الحكومة العراقية قواتها، هذا عدا الميليشيات الشيعية العراقية، لتأمينها دعماً للأسد، وفي محاولة لخنق الجيش السوري الحر، وبالطبع فإن هناك الجولان المحظلة من قبل إسرائيل التي سمحت لقوات الأسد باستخدام الدبابات من أجل إخراج الجيش الحر من عبر القنيطرة، ومن ناحية البحر المتوسط هناك البارج الروسية! كل ذلك يقول إن سوريا مقسمة ومحظلة بفعل الأسد الذي قتل قرابة المائة ألف من السوريين.

حديث الأمير سعود الفيصل يعني أن السعودية لا تقبل بحل سياسي يبقى الأسد، وهذا بمثابة رسم مسار لأي محاولات سياسية قائمة أو قادمة، سواء على غرار «جينيف²» الذي بات مشكوكاً في أن يعقد، أو غيره من الأفكار، والمبادرات التي تطرح من هنا وهناك والهدف منها إنقاذ الأسد. ولذا فإن حديث الفيصل مهم، وحاسم، حيث سمي الأشياء بأسمائها، وشكل رافعة مهمة للمعارضة السورية حين رسم حدود ما هو مقبول وما هو غير مقبول، كما أن حديث الأمير سعود يعني أن الرياض ماضية قدماً في دعم الجيش السوري الحر من أجل تمكينه من حق الدفاع عن النفس والأرض.⁽³⁾

من المقاومات والثورات المسلحة إلى الحروب الأهلية:

وتحت هذا العنوان كتب ماجد كيالي:

جاء تحول «حزب الله» من مقاومة إسرائيل إلى المشاركة في قتال السوريين، في ضواحي الشام وحلب مروراً بالقصرين، مفاجئاً لكثيرين، لا سيما أن جبهة الجولان المحظلة هادئة منذ أربعين عاماً، وأن هذا الحزب توقف عن المقاومة تماماً منذ عام 2000، باستثناء لحظة خطف جنديين إسرائيليين (2006).

هكذا أثارت هذه المشاركة العديد من التساؤلات، التي كان مسؤولاً عنها، بشأن المرجعية الخارجية لهذا الحزب، وتوظيفاته الحقيقة، ومرجعيته الدينية، وتركيبته الطائفية، بخاصة أنه وبعد ثلاثة عقود ما زال محصوراً في إطار طائفة معينة، كأن كلّاً من الوطنية والمقاومة حكر عليها. ومثلاً، فهل الدفاع عن المقاومة يبرر قتال السوريين (أو اللبنانيين)؟ وهل تستقيم المقاومة مع نظام استبدادي يحكم شعبه بواسطة القوة العسكرية وأجهزة المخابرات، لا سيما أن هذا النظام لم يطلق رصاصة على إسرائيل منذ أربعة عقود؟ وهل أن عملية تحرير الأرض تتناقض مع طلب شعب ما للحرية والكرامة؟ ثم ما معنى المقاومة والمجتمعات المعنية مهمشة ومغيبة وممتهنة وفتقد أدنى حقوق المواطن؟

الآن، إذا أمعنا النظر في تجارب المقاومات المسلحة وما لاتها، في واقعنا العربي، فستجد أن التدهور السياسي والقيمي والأخلاقي عند «حزب الله» لا يقتصر عليه فقط، وإن تجلّ ذلك عنده بصورة أكثر فجاجة وانحطاطاً، فهذا يشمل باقي

المقاومات، بهذا المستوى أو ذاك، لا سيما أنها كلها خضعت لارتهانات أو لتوظيفات سياسية خارجية، أضعفتها، وحرفتها عن المهام التي يفترض أنها قامت من أجلها، تحت تبريرات عدّة.

وللأسف، ففي حيّز التجربة التاريخية كنا شهدنا أن هذه المقاومات لم تحصّن ذاتها من الوقوع في شراك الاقتتالات الجانبيّة، أو الحروب الأهلية، حيث المقاومة الفلسطينيّة، ومعها الحركة الوطنيّة اللبنانيّة، استهلكت واستنزفت، في أتون الحرب الأهليّة اللبنانيّة، أضعاف ما استهلكته من قواها وما استنزفته من طاقتها، في مجال الصراع مع العدو الإسرائيلي، وقد حدث ذلك، أيضًا، في الاقتتالات الفلسطينيّة، في لبنان (1983) وفي غزة (2007)، ما أفضى إلى حقيقة مفادها أن ضحايا الصراعات الجانبيّة للمقاومات، من فلسطينيين ولبنانيين وسوريين، أكثر بكثير من ضحايا صراعها ضد إسرائيل.

وفي العموم فإن هذه الحقيقة المرّة تفيد بضرورة نزع القداسة، والهالة الرومانسيّة، عن تجربة المقاومات المسلحة، وإخضاعها للمراجعة والمساءلة والنقد، وهذا يشمل مقاومة الفلسطينيّين، ومقاومة «حزب الله»، وصولًا حتّى إلى الثورة السوريّة المسلحة.

وبديهي أن هذا الأمر ليس له علاقة بنقاش مشروعية المقاومات والثورات المسلحة، من عدم ذلك، ولا بمبررات نشوئها (فهذا شأن آخر) بقدر ما له علاقة بتفحص كيفية تمثّل هذه التجربة في الواقع، ونجاعة إدارتها، ومدى التحكّم بمساراتها وتداعياتها، والنظر إليها من زاوية جدواها، باعتبارها فعلًا سياسيًّا لبشر، يمكن أن يخطئوا وأن يصيّبوا، ويمكن أن ينحرفوا أو أن يخضعوا لتوهّمات أو مراهنات أو توظيفات مضرّة.

نعم، نحن بحاجة ماسّة لهذا مراجعات نقديّة، لأن المقاومات والثورات المسلحة بالذات تنطوي على أثمان باهظة يدفع ثمنها كل المجتمع أكثر بكثير مما يدفع الحزب، أو الجماعات التي تنخرط فيها، فهذه ليست نزهة ولا نزوة ولا حالة رومانسيّة، وهذه أو تلك إن لم يجر تحصينها وضبطها قد تنجم عنها انحرافات وتعصّبات واستبدادات وكوارث.

ولعلَّ أهم ما ينبغي إدراكه هنا أن المقاومات والثورات المسلحة تفضي في الغالب إلى العسكرية، وحصر الأمر بيد جماعات عسكريّة محترفة، ما يؤدّي إلى انحسار طابعها الشعبي، وطغيان بناتها العسكري على بناتها السياسي، وهذا بدوره يفضي إلى الهيمنة على المجتمع، وتشجيع الميل نحو حل المشاكل السياسيّة بالعنف وبقوّة السلاح، بدلاً من انتهاج الوسائل السلميّة والديموقراطيّة لحل المشاكل البيئيّة، وطبعيًّا أن كل ذلك يسهم، تاليًا، في تعزيز التشقّقات في المجتمع، وهذا حصل في لبنان وفلسطين والعراق وسوريا.

وهنا ينبغي أن يكون واضحًا بأن المقاومات والثورات المسلحة تزيد من الارتهان إلى الخارج، أي لمصادر التمويل والتسلیح والإمداد، ما ينجم عنه تولّد نزعوتين خطيرتين، أولاهما، وتمثل بالخضوع لارتهانات والإملاءات السياسيّة الخارجية، ما يؤدي غالباً إلى حرف المقاومة أو الثورة، وتغيير محتواها. وقد حصل ذلك، مثلاً، بتحول الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة إلى سلطة في الضفة وغزة، قبل إنتهاء الاحتلال، وفي تكريس واقع الانقسام بين الفلسطينيّين، كما حصل مع ارتهانات الميليشيات المسلحة في العراق و«حزب الله» في لبنان لإيران، ففي كل الحالات بدت مسألة استمرار الدعم لمتفرّги هذا الحزب أو هذا الفصيل أهم من القضية الوطنيّة ذاتها.

أما النزعة الثانية، فتتمثل بتولّد نوع من شعور مخادع بالقوة الزائدة، عند جماعات المقاومة المسلحة، ما يشجّعها على الدخول في مغامرات عسكريّة أكبر من قدراتها الفعليّة، وأكبر من قدرة مجتمعها على التحمل، ما يستنزفها ويرهقها، ويدفع مجتمعها الأثمان الباهظة، وهذا حصل في مجمل تجارب المقاومة والثورات المسلحة في بلداننا في لبنان وفلسطين. وهذا حدث مع الثورة السوريّة، التي تزامن ميل بعض قواها المحركة نحو الثورة المسلحة، مع زيادة التوهمات بشأن إمكان حصول تدخل خارجي، من نوع ما، أو الحصول على سلاح نوعي، وكل الأمرين لم يحصل، حتى بعد 27 شهرًا من الثورة، وعلى رغم التضحيات الباهظة، وهي مراهنة أضعفّت العمل السياسي، وأضرّت بالحواضن الشعبيّة للثورة، بعد تشرّد ملايين

السوريين وفقدانهم لممتلكاتهم ولموارد رزقهم.

من ناحية أخرى، ثمة ملاحظة لا بد من لفت الانتباه إليها، وهي أنه كلما قلّ اعتماد المقاومات والثورات المسلحة على مجتمعها، في التمويل والتسلیح، وزاد اعتمادها على الخارج، كلما باتت تشتعل بعقلية الهيمنة والوصاية على شعبها، وقلّت مبالغاتها بمعاناته، وبالأثمان الباهظة البشرية والمادية التي يدفعها، من دون أي حساب للجدوى وللتكلفة والمربود. والمعنى أن وجود المقاومة هنا يصبح له أولوية على وجود الشعب، ويصبح هو القضية، وليس القضية التي قامت المقاومة من أجلها، ما يفسر نزعتين عندها، الأولى، تعمّدتها إدخال شعبها في مواجهات عسكرية غير مدروسة، وغير محسوبة. والثانية، ميلها للتحوّل إلى سلطة في مجتمعها، وفي مجالها الإقليمي، هذا ما حصل مع كثير من المقاومات في فلسطين ولبنان وسوريا والعراق.

الآن، ثمة سؤال مشروع، وهو: ما البديل؟ والجواب يتمثّل بضرورة اعتماد المقاومة أو الثورة المسلحة من الأساس على الإمكانيات الذاتية لشعبها، وملاءمة أشكال عملها مع إمكاناته وقدراته، لضمان استمراريتها، والحفاظ على سلامته مقاصدها، وتجنبها الوقوع في مراهنات خاطئة أو في مغامرات عسكرية تفوق قدرة شعبها على التحمل. وهذا لا يعني رفض الدعم الخارجي، لكنه يفيد بأنه كلما كانت المقاومة أو الثورة المسلحة أكثر اعتماداً على شعبها، وأكثر تنظيماً لأوضاعها، كلما كانت أكثر كفاءة في صد التدخلات الخارجية، وأكثر نجاعة في تغيير الدعم الخارجي لصالحها.

ولا شكّ هنا أن المقاومات والثورات التي تعجز عن بناء إطارات سياسية ناجعة، والتي لا تستطيع توحيد مجتمعاتها، ولا تخليق إجماعات على معنى المقاومة والثورة فيها، لن تستطيع الخوض في غمار هذين المجالين على النحو السليم. هذا ما حصل مع «حزب الله» في لبنان، مثلاً، ومع فكرة «فتح» بشأن أن «النظرية تتبع من فوهه البندقية»، التي لم تثبت صحتها، مع التقدير لتضالات «فتح» وغيرها، وهذا ما تکابده الثورة السورية حالياً.

وربما أن الثورة الفلسطينية الكبرى، التي استمرت ثلاثة أعوام (1936-1939)، في مواجهة الاستعمار البريطاني والهجرة الصهيونية إلى فلسطين، تشكل نموذجاً ي شأن الاعتماد على الإمكانيات الذاتية للشعب. وقد تكرّر ذات الأمر مع الانتفاضة الفلسطينية الشعبية الأولى، التي استمرت ستة أعوام (1987-1993)، والتي كان لها الفضل في مقاومة الشرخ في المجتمع الإسرائيلي، وفي جلب التعاطف الدولي مع قضية الفلسطينيين، وفي إظهار إسرائيل على حقيقتها كدولة استعمارية وعنصرية.

القصد من ذلك التحذير بأنه لا توجد دولة في العالم تدعم المقاومات والثورات المسلحة من دون ثمن، أو من دون محاولاتها تقيد هذه المقاومة أو الثورة باشتراطات أو بقيود معينة، أو حتى استخدامها في إطار توظيفات سياسية مضرة وخطيرة، وهو ما حصل مع «حزب الله»، ومع غيره، بطريقة أو بأخرى، وكلما كانت أوضاع الجهة المدعومة مضطربة، أو غير محسنة، أو غير منتظمة، كلما كانت الارتكابات أكبر وأخطر.

أخيراً، المشكلة لا تتعلق، فقط، بالمقاومات أو بالثورات، مسلحة أو غير مسلحة، فثمة مشكلة في المجتمعات العربية، أيضاً، في إدراكاتها لذاتها، وفي تعريفها لهويتها الجمعية، وافتقادها لمعنى المواطن والوطن ودولة المواطنين، فهذا هو مصدر انحراف المقاومات والثورات المسلحة إلى حروب أهلية، وهو ما ينبغي الانتباه إليه والتحصّن ضده. (6)

أسماء ضحايا العدوan الأسد़ي:

بعض من عرفت أسماؤهم من ضحايا العدوan الأسدِي على المدن والمدنيين: (اللهُمَّ تَقْبِلْ عِبَادَكَ فِي الشَّهَادَةِ) (7)

أبو خطاب الجزاوي - ريف دمشق - القلمون

واصل عبد الله الديدو - حماه - سوران

محمد محمود خيطة - ريف دمشق - الزيداني

هند محمد معصوم حاصود - ادلب - معرة حرمة

غياث أحمد مسلم - ريف دمشق - سقبا

عمار حسين برغيلي - حمص - تلكلخ

فايز الشوامرة - درعا - الحراك

إبراهيم الموسى - ادلب -

أنس عبد الحق - درعا - مخيم النازحين

محمود أحمد دعبول - حلب - تقاد

محمد الرحمنون - حمص - القربيتين

عط الله شبيب العربي المسالمة - درعا - درعا البلد

أحمد الدخان المسالمة - درعا - حي السحاري

عبد الله الناصر - الرقة -

محمد مصطفى عmad عيون - ريف دمشق - دوما

سعد محمد الشلاش - دير الزور -

خلف أحمد الخليف - دير الزور - القورية

فارس الشيخ بكري - ريف دمشق - دوما

باسل نعمان النبكي - ريف دمشق - دوما

أمون الجاسم - دير الزور - الموسن

إبراهيم سنو - ريف دمشق - عربين

سيدرة سنو - ريف دمشق - عربين

سمير غياث سنو - ريف دمشق - عربين

أنعام عطايا - ريف دمشق - عربين

عبد الرحمن مروان الدلي - دير الزور - البوليل

حسين فايز رقية - حماه -

بشار الحرب - اللاذقية - جبلة

حسن صالح دياب - ريف دمشق - معلولا

عبد المنعم حسان نعسان - حماه - قسطون

محمد أحمد زيدان - حلب - الزبدية

فارس أحمد بصبوص - حلب - الفردوس

محمد محمد رياحي - حلب - الفردوس

معن الأسود - حلب - الفردوس

أسامي الزيات - حلب - سيف الدولة

عمر أحمد مصطفى العبدو - حلب - قبايسين

عبد العزيز بكار - حلب - جرابلس

محمد عبد الحي - حلب - ترمانين

عمر عبد الرحيم عبد الحي - حلب - ترمانين

بسام الصليبي - حمص - القرىتين

آمنة واجب قرجو - ادلب - جسر الشغور

نصر قرمان - حمص - الرستن

زكريا يحيى البasha - حمص - تلكلخ

محمود حسين برغيلي - حمص - تلكلخ

علي حيدر - حمص - تلكلخ

أحمد جاسم الجاسم - حمص - الوعر

صباحية موفق يونس - ريف دمشق - عربين

مؤيد تيسير زغلول - ريف دمشق - عربين

محمد خالد الرفاعي - ريف دمشق - عربين

أحمد مصطفى رسلان - ريف دمشق - عربين

عمر أحمد جدوع - ريف دمشق - حران العواميد

عبد الفتاح أحمد الحلبي - ريف دمشق - القلمون: جبعدين

زوجة محمد قاسم تبان - ريف دمشق - المليحة

محمد سويد - القنيطرة

المصادر:

1- لجان التنسيق المحلية.

2- العربية نت.

3- الشرق الأوسط.

4- الجزيرة نت.

5- سي إن إن

6- الحياة.

7- مركز توثيق الانتهاكات في سوريا.

المصادر: